

سورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠

فدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَنِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ

سورة الإسراء

(سبحان الذي أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لغتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعدياً أي أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد ، والعبء هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفاً له وتقريباً (ليلاً) إن قيل : ما فائدة قوله ليلاً مع أن السرى هو السير بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في الإعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) يعنى بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل ، وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أي بلد المسجد الحرام ؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي بإيلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة ، واختلف العلماء في كيفية الإسراء ، فقال الجمهور : كان بحسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، فحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قریش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانئ له لا تنخر بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناماً قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ، وإنما يقال الرؤيا في المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينما أنا بين الناس واليقظان وذكر الإسراء ، وقال في آخر الحديث فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس وهو الذي أنكرته قریش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقى الأنبياء في السموات (الذي باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء ، والآخر : كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أي لنرى محمداً صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكله الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء ، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دوني وكيلاً) أي

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۖ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ۖ فِإِذَا جَاءَ وَعْدُآؤُهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۖ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۖ فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتَّبِعُوا مَا عُلِّمُوا ۖ قَبْرًا ۖ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ

ربما تكون إليهم أمركم ، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء ، وفي نداءهم بذلك تطف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هي مفعول تتخذوا ، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعني بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كما عبد اشكورا) أى كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أى كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل فى وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذى كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى معنى على (لتفسدن فى الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للبقى ، وهى فى موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن ، والجملة فى موضع معمول قضينا ، والمرتان المشار إليهما إحداها قتل زكريا والآخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا فى المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا لله لينتقم منهم على أيديهم ، واختلاف فى هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل يختصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أى ترددوا بينهما بالفساد ، وروى أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ويعنى رجوع الملك إلى بنى إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقتل يختصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أى أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثانى بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان ، ففقيه تجنيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام فى قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) يعنى إذا أفسدوا فى المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للاتقام منهم فالآخرة صفة للمرة ، ومعنى يسوءوا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام لام كي : هى تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه ، وقيل هى لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس (وليتبروا) من التبار ، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ماعلوا) ما مفعول ليتبروا : أى يهاكوا ما غلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ما ظرفية أى يفسدوا مدة علومهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبنى إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبنى إسرائيل : أى إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا * أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا آأَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا

عقابكم ، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأتمه يقتلونهم ويدلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجننا وهو من الحصر ، وقيل أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف (يهدى للذى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (يدع الإنسان بالشردعاه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشّر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت الثبوت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولاً) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ومحور آية الليل على هذا كونه مظلماً ، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، ومحور آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلاً من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معاشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شىء فصلناه تفصيلاً) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فى عُنْقِهِ) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائره ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عُنْقِهِ أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤخذ أحد بذنب أحد ، والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَدْمِيرًا ، وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ
لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ، كُلًّا مُدْهِوًّا هَلْؤَلَاءُ وَهَلْؤَلَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا
كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ، آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ، وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَأَخْفِضْ

فبعث رسولا قيل إن هذا في حكم الدنيا أى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم - يارسال رسول
إليهم ، وقيل هو عام في الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوما في الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا
فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا
بلى ، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من
الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) في تأويل أمرنا هنا ثلاثة
أوجه : أحدها أن يكون في الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا ، والثاني أن
يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أى قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرتنا
واختاره أبو على الفارسي ، وأما على قراءة أمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرتنا ، وأما على قراءة أمرنا بتشديد
الميم ، فهو من الإمارة أى جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم في الدنيا (لحق عليها القول) أى
القضاء الذى قضاه الله (وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) القرن مائة ستة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة)
الآية : في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يجعل الله
لهم حظا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة
الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحورا) أى مبعدا أو مهانا (وسعى لها سعيها) أى عمل
لها عملها (كلا بمد) انتصب كلا بنمد وهو من الممد ومعناه زيدهم من عطايتنا (هؤلأ وهؤلأ) بدل من
كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطا ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة
ومن المعاصى لمن أراد الدنيا ، والاول أظهر (محظورا) أى ممنوعا (فضلنا بعضهم على بعض) يعنى في رزق
الدنيا (لا تجعل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين (مذموما) أى يذمه الله
وخيار عباده (مخذولا) أى غير منصور (وقضى ربك) أى حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما فى
مصحف ابن مسعود : وصى ربك (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن
عندك) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الموكدة وجاها فلا تقل لها أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا
كبرا أو كبرا أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى
عندك : أى فى بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول كروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَتَّةَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أُبَتَّغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكرودة تصدر من الإنسان، فسمى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في أف المكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما توبينها فهو للتنكير (ولا تنهرا) من الاتهار وهو الإغلاظ في القول (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله اخفض جناحك للدومنين، وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل، ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين، وقيل المسبحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، لحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل هو خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتى قرابته حقه من بيت المال، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية: معناه إن أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيه، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياء منه، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله (وإما تعرضن عنهم)، والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظاراً للرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (قل لهم قولا ميسورا) أي ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هي الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة في معنى غاية البخل كأن البخل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة في معنى غاية الجود فسمى الله عن الطرفين: وأمر بالتوسط بينهما: كقوله (إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) (ملوما) أي يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء (محسورا) أي منقطعا بك لاشيء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم يبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر في الأنعام (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من:

كَانَ مَنْصُورًا ۖ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۖ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۖ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۖ آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۖ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها في معناها كالحراية وترك الصلاة ومنع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولي المقتول وسائر العصبه ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والساطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل ولىه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئ فلا تسرف بالناء خطابا للقاتل ، أو لولى المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقرّبوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقرّبوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، وبصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة ، هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ما ليس به علم) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من فقرته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها عاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مرجا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية ، وقيل هو لإراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروها نعت

وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا . قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَيِّلًا * سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا . وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ أَنْ يَسْمِعَ يَنْتَظِرَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا . وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَذْبَرْتُمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا

سبته أو بدل منها ، أو خبر ثانٍ لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم: خصكم (قولا عظيما) أي عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا) هذا احتجاج على الوحدانية ، وفي معناه قولان : أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لا بتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عبادته ، والآخر لا بتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية : اختلاف في كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أي بما ندل عليه صنعته من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) في معناه قولان : أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًا ، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده ، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات ، وقيل معناه سائر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء ، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات في إضلالهم (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) معناه إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فز المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفوراً مصدر في موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير في به عائد على ما : أي نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذا هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحورا) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهي الرثة : أي بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أي مثوك بالساحر، والشاعر، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

مَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ
مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۖ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ
لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنِ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۚ رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۚ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فناءهم ، والرفات الذي بلى حتى صار غبارا أو فئانا ، وقد ذكر في الرعد اختلاف
القراء في الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقد راعا على بعثكم وإحيائكم
مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم
ويحيي عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أي
كونوا في الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل
يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحوال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم : أي لو كنتم
حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندهم من ذلك وأبعد عن الحياة لقد راعا على بعثكم (فسيفضون إليك رؤسهم)
أي يحركونها تحريك المستبعد للشيء والمستعزى (ويقولون متى هو) أي متى يكون البعث (يوم يدعونكم
فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور
طائعين منقادين وبحمده في موضع الحال أي حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا)
يعنى لبثتم في الدنيا أو في القبور (وقل لعبادى يقولوا التي هي أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم
لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للشركيين ، ثم نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة
في إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قيل يعنى الملائكة ، وقيل عيسى وأمه وعزير ،
وقيل نفر من الجن . كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف
تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من
دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجون ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك
مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل في يدعون ضمير للكفار ، وفي يبتغون للآلهة المعبودين
وقيل إن الضمير في يدعون ويبتغون الأنبياء المذكورين قبل في قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ،
والوسيلة هي ما يتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغى الوسيلة من هو أقرب
منهم ، فكيف بغيره : أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ الذَّاقَةَ مُبْصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّمْيَ الَّذِي أَرَيْنَاكَ الْإِفْتِنَةَ لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَتُخَوِّفُهُمْ

بالاجتهاد في طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأنهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالترك ، والاندلس بالخيول ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل المرحدين بها في ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيلية وطبالة وغيرها بأخذ الروم لها (في الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التي يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكتهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل في موضع نصب وأن كذب في موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبئها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراهم الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس في منعك وحمايتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) اختلف في هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان في اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان في المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فرد عنها فافتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى في المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة في القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل : أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم في القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها في أصل الجحيم (وتخوفهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تميز أحوال من من أو من مفعول خلقت (قال أريتك

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَنُجِدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ نَجْوَاكَ وَرَجَلَكَ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا * رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَن

هذا الذي كرمت عليّ) الكاف من أرايتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرايت ، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ أي فضله وأنا خير منه فاختر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرايتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني (لاحتسبن ذريته) معناه لا استولين عليهم ولا قودنهم وهو مأخوذ من تخنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتقاد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزمخشري ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء ، وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخلية ، ويحتمل عندى أن يكون معناه للطرود والإبعاد (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، ولیدخل إبليس معهم (جزاء موفورا) مصدر في موضع الحال والموفور المكمل (واستغفر من استغفرت) أي ائذع واستخف (بصوتك) قيل يعني الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصي (وأجاب عليهم) أي هول ، وهو من الجلبة وهي الصياح (بنجيك ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشى على رجله فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إنله من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الشر (وشاركهم في الأموال والأولاد) مشاركته في الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك ، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدهم) يعني المواعدة السكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن عبادي) يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى بربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (يزجي لكم الفلك) أي يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها (الضر في البحر) يعني خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فلجأتم إليه حينئذ دون غيره . فكيف تبعدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

يُعِيدُكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن تَبَتَّنَا لَقَدْ كُنتَ تَرَكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا

أى كفورا بالنعيم ، والإنسان هنا جنس (أفأمنتم) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجزتم من البحر فأمنتم الحسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ربحا شديدة ترمى بالحصاب (وكىلا) أى قائما بأموركم وناصر الحكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما ياقى أى يكسره (تبيعا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة (بإمامهم) قيل يعنى بنبيهم ، يقال يأمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم (ولا يظلمون فتيلة) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا ، فعبّر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والمعنى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يأس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه ، قال سيويه . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لافى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سبها أن قريشا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية (لتفتري علينا غيره) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذا لا تخذوك خليلا) أى لو فعلت ما أرادوا منك لا تخذوك خليلا (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) لولا تدل على امتناع شئ. لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفي الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فاتنى الركون إليهم ومقاربتة ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبي صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لِيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۚ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۚ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۚ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

من مقاربة الركون ، ولولم يشبهه الله لكانت مقاربه للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك (إذا لذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كادوا يستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلا) أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذابة قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر ، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام فى قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهد ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن للتبعض ، والضمير فى به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالنفل هنا للخروج عن الشيء كالنخرج والتأثم : فى الخروج عن الإثم والخروج (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الظرف (وقل رب أدخلني مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل فى القبر ، والمخرج إلى البعث ، واختار ابن عطية أن يكون على العموم فى جميع الأمور (سلطانا نصيرا) قيل معناه حجة تنصرنى بها وتظهر بها صدقى ، وقيل قوة ورياسة تنصرنى بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من للتبعض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفى القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقابة والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

أَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .
وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ
عَلَيْكَ كَبِيرًا . قُلِ لَّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا . وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا .
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ
الْأَنْهَارَ خُلُجًا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَازَئِمَةً عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ

إنما يراد الكافر لأنه هو الذي يعرض عن الله (ونآى بجانبه) أى بعدد وذلك تأكيد ديان للإعراض ،
وقرئ ناه وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويسئلونك عن الروح)
السائلون اليهود ، وقيل قريش بإشارة اليهود ، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم ، وقد يقال فيه
النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح
من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألو
عن الروح ، فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبيّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح لما انفرد الله بعلمه ،
وقال ابن بريدة : لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس
والروح ، وليس فى أقوالهم فى ذلك ما يعول عليه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) خطاب عام لجميع الناس ، لأن
علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم
بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف
وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا : أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك
فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته وردّه بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) يحتمل أن
يكون استثناء متصلا بمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناء منقطع بمعنى أن رحمة ربك
تمسكه عن الذهاب (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) يحجز الخلق
عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التى لم يمكن الناس يعلونها ،
ولا يصلون إليها ، ثم جاءت فيه على الكمال ، وقال أكثر الناس إنهم يحجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه
إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيراً) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من
كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة ، والبراهين القائمة ، وهذا يدل على أن إعجاز
القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود ، وانتصب
بقوله أبى لأنه فى معنى النفي (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول
هم أشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات ، وهى التى
ذكرها الله فى هذه الآية ، وقيل إن الذى قاله عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، وكان ابن عمه النبي صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين ، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

بَيْتٍ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۚ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۚ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَشْهَدُونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۚ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۚ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۚ

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعاً واحداً (قبيلة) قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامناً شاهداً بصدقك ، والمقابلة في اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربى) تعجب من اقتراحتهم ، أو تنزيه الله عن قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أى إنما أنا بشر ، فليس فى قدرتى شيء مما طلبتم ، وأنا رسول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً) المعنى أن الذى منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان فى الأرض ملائكة) الآية : معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكاً ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهداء بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عمياً وبكماً وصماً) قيل هى استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عمياً وبكماً وصماً حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه فى اللغة سكن لها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لها بدلوا أجساداً آخر ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت (وقالوا أنذا كنا عظاماً) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فثائه ، والرؤية فى الآية ، رؤية قلب (أجلالاً ريب فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يلها الفعل إلا ظاهراً أو مضمر فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسرهُ بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأرزاق ، إذا لامسكم خشية الإنفاق أى لو ملكتم الخزائن لامسكم عن الإعطاء خشية الفقر ، فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر ، ومفعول أمسكم محذوف ، وقال الزمخشري

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافْرَعُونَ مُشْبِرًا ه
فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا الَّذِينَ أَوْتُوا
الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا *

لامفعول له لأن معناه بخاتم من قولهم للبخيل ممسك . ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف
وصف الله تعالى بالجود والغنى (تدع آيات) بذات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع
انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، ورفاق البحر وقد عد فيها رفع الطور
فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والنقص من
الثمرات ، روى أن بعض اليهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركون بالله شيئا ، ولا تسرقوا
ولا تزنيوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشي بغيري إلى السلطان ليقته ، ولا تسحروا ولا
تأكلوا الربا ولا تنفذوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت (فاستل
بنى إسرائيل) أى أسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على
هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشري إن المعنى قلنا لموسى أسأل بنى إسرائيل من فرعون
أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله أسأل لموسى على
إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : أسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا
أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والاول أظهر (إذ جاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آبائهم الأقدمون
والعامل في إذ على القول الاول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف
(مسحورا) هنا وفي الفرقان : أى سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب
لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مشبورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول
فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا بقوله . وإني لأظنك يافرعون مشبورا (فأراد أن يستفزمهم من
الأرض) أى أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعنى أرض الشام (لفيفا) أى جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه فى الموضوعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الاول
كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق فى إخباره وأوامره ونواهيه (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر
يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل فى قراءته ، وقيل على طول
مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث
وعشرون (قل ءامنوا به أولا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكثارات بهم . كأنه يقول سواء آمنتكم أولم
تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فندية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعنى المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الخيفية قبل البعثة : كزید بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون الأذقان) أى لناحية الأذقان كقولهم ختر للدين وللهم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون الأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بالله يارحم ، فقالوا إن كان محمداً أمراً بدعائه إله واحد وهما هو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد ، وأنه مخير في الدعاء بأى الاسمين شاء ، والدعاء فى الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدى زيدا لا بمعنى النداء (أيادى ادعوا) فلله الاسماء الحسنى (أيادى اسم شرط منصوب بدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، ومازائدة للتأكيد والضمير فى به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أى هذين الاسمين تدعو لحسن ، لأن الله له الاسماء الحسنى فوضع قوله لله الاسماء الحسنى موضع الحال ، وهو فى المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها) المخافة هى الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فى الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولي من الدل) أى ليس له ناصر يمنع من الدل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنى عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبرى أن قوله لم يتخذ ولداً رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولداً ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولي من الدل رد على الصابئين فى قولهم لولا أولياء الله لذلل الله ، تعالى الله عن قولهم ، علواً كبيراً (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشرىفاله